ألفاظ السخرية والضحك والاستهزاء في القرآن الكريم
دراسة في السياقات القرآنية ومقارنة في الألفاظ

Words of irony, laughter and mockery in the Holy Qur'an, a study in the Qur'anic contexts and a comparison of the words

د.خالد علي حمو خالد
مدرس
المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى

Dr. Khalid Ali Hammo
Lecture
Genral Directorate Of Education Nineveh Governorate

Ncy36tc@gamil.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/٠٨/٢٨ **تاريخ القبول** ٢٠٢٤/٠٣/٠٤

الكلمات المفتاحية: السخرية ، الضحك ، الاستهزاء ، الألفاظ ، السياق

Keywords: irony, laughter , mockery, malapropisms , context

الملخص

تناول بحثنا دراسة ألفاظ السخرية والضحك والاستهزاء في القرآن الكريم وعرض هذه الألفاظ ومعرفة دلالتها الأصلية (المعجمية) ثم دلالتها القرآنية ،وتنوع هذه الدلالات في كل نص والمتشابه منها، كذلك النصوص التي وردت فيها هذه الألفاظ في سياق واحد ، ويتناول البحث التفاوت في إطلاق كل لفظ في السياق القرآني الواحد والسياقات المتعددة .

والألفاظ الثلاثة تتفاوت فيما بينها في الإطلاق، فالضحك أقل هذه الألفاظ ، ثم السخرية ، والاستهزاء الذي هو أكثر هذه الألفاظ ورودا في النصوص القرآنية ، وأكثر ما وردت ألفاظ الضحك والسخرية والاستهزاء مع المنافقين أو المشركين المكذبين لرسلهم وقد وردت مع المؤمنين من باب الجزاء وليس اتصافهم بها والله سبحانه يجازي من وقع منه هذا الفعل بالمثل

Abstract

This research deals with utterances of comic Ironic and mockery in the Holly Quraan . These ulttrnaces have been exposed to Know its original meaning (dictionary meaning) and its relations in The holly Qurran , the variety and similarity of The semantic inter pretation in each text. The texts that have The utterance in one context . This research also deals with the difference in naming in every single utterance in the Quraanic context and the other context . these three terms are different generally, as the comic is the teast and the I ronic is the stronge one . the most using among these utterances that used with The hypoerites or the unbelievers from the reward side but not how they were and (Allah) God pays who commit this sin homeopathically .

توطئة

أحمدُ الله سبحانه المنعم علينا بنعمٍ لا تحصى وأفضالٍ لا تنسى ، والصلاة والسلام على النبي الأمين الرحمة المهداة وعلى من سار على خطاه واتبع أثره من الآل والأصحاب وبعد : فألفاظ القرآن الكريم تتنوع في تراكيبها وتقترب ألفاظها أو معانيها فنجد اللفظة الواحدة ذات بعد دلالي متنوع ، والألفاظ المختلفة تقترب بعضها من بعضها في الدلالة أو قد يظن الناظر لأول مرة أن لها الدلالة نفسها ، إلا أنه عند إنعام النظر في اللفظة وأختها في سياق الآية الواحدة أو الآيات المتعددة نجد فرقا بينها ، وهذا الفرق تحدده المعاجم اللغوية أو كتب معاني القرآن أو التفسير ، وهذا البحث يأتي ضمن هذا النوع من الأبحاث التي تعتني بدلالة اللفظة السياقية والقرآنية، فكان: (ألفاظ السخرية و الضحك والاستهزاء في القرآن الكريم دراسة في السياقات القرآنية ومقارنة في الألفاظ) عنوانا لبحثي تناولت فيه جذر الألفاظ المعجمي ، مردفا له ببعض الآيات التي وردت هذه الألفاظ في سياقها وأقوال المفسرين فيها ، وقد قسّمته على ثلاثة مباحث المبحث الأول: (لفظة سخر وصيغها)، المبحث الثاني (لفظة ضحك وصيغها) ، المبحث الثالث (لفظة هزو ، هزءِ وصيغها) ، وقد ابتعدت في اختيار النصوص عن النصوص المتشابهة ، أو التي تتكرر فيها اللفظة نفسها بما يتناسب مع عنوان البحث ، وكانت المصادر متنوعة بما يخدم طبيعة البحث فكانت المصادر ممزوجة بين التفسير، ومعاني القرآن ، والمعاجم ،ومن ثمّ تختم كل آية بالرأي الذي يتناسب مع سياق النص، والدلالة المعجمية ، وفي كل ذلك أحاول ترك الرأي الذي يأخذ بالنص خارج المراد منه، والله أعلم .

المبحث الأول: (لفظة سخر وصيغها):

هذا الجذر " يَدُلُّ عَلَى احْتِقَارٍ وَاسْتِذْلَالٍ .... . وَيُقَالُ رَجُلٌ سُخْرَةٌ: يُسَخَّرُ فِي الْعَمَلِ، وَسُخْرَةٌ أَيْضًا، إِذَا كَانَ يُسْخَرُ مِنْهُ. فَإِنْ كَانَ هُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ قُلْتَ سُخَرَةٌ، بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالرَّاءِ"[١] والذي يدل على الاستهزاء يتعدى بحرفي الجر من و الباء فيقال سَخِرَ من الرجل أو سخِرَ به، أي: استهزأ. و تكون السُّخْرِيَّةُ: مصدرا في المعنيين أي في التذليل في العمل وفي الاستخفاف [٢]

وأبو هلال العسكري ذكر الفرق بين السخرية والاستهزاء والتي يمكن أن نلخصها[٣] بـ :

الاستهزاء: يقع على الإنسان من غير فعل مسبق يوجب الاستهزاء .

السخرية : تدل على فعل يسبق من المسخور منه .

- استهزأ يتعدى بالباء والباء للإلصاق فكأن المستهزئ ألصق به ما ليس فيه .

- سخر يتعدى بالحرف (من) فكأنّ هناك فعلاً قد وقع منه كما تقول عجبت منه .

دراسة لبعض سياقات الآيات:

١- {الذين يلمزون المُطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذابٌ أليم} [التوبة: ٧٩]

في الآية الكريمة ورد الجذر (سخر) مرتين بصيغة المضارع (يسخرون) وبالماضي (سخر) وسياق الآية في بيان حال المنافقين مع المتصدقين في سبيل الله وهو حالهم مع المؤمنين دائما فهم يسخرون منهم ويتسهزئون بهم ويوهنون عزائمهم[٤] والآية تضمنت أمورا منها لمز المتطوعين في الصدقات وهو العيب عليهم والانتقاص من صدقتهم[٥] . وفعل المنافقين مع المؤمنين باللمز والسخرية وقع منهم مرات كثيرة لذلك "اخْتِيرَ الْمُضَارِعُ فِي يَلْمِزُونَ وَيَسْخَرُونَ

(١) مقاييس اللغة: ٣: ١٤٤ .

(٢) ينظر: العين: ٤ : ١٩٦.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٥٤ .

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥: ١٣٧ .

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ : ٥٥٦ .

لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّكَرُّرِ"[١] . وقد جاء جزاء فعلهم من جنسه ليزدادوا حسرة وألما وندما فقد "جَازَاهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ مِنَ السُّخْرِيَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَسَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِأَنْ أَهَانَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ وَعَذَّبَهُمْ، وَالتَّعْبِيرُ بِذَلِكَ مِنْ بَابِ الْمُشَاكَلَةِ كَمَا فِي غَيْرِهِ، وَقِيلَ: هُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَسْخَرَ اللَّهُ بِهِمْ كَمَا سَخِرُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أَيْ: ثَابِتٌ مُسْتَمِرٌّ شَدِيدُ الْأَلَمِ"[٢] ، فالسخرية منهم في الآية الكريمة استخفاف ومن الله هي "مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ، فَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ سَخِرَ بِهِمْ، انْتِصَارًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لِلْمُنَافِقِينَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا أليما"[٣] وسياق (سخر الله منهم) هل هو خبر أو دعاء فعلى الخبر يكون المعنى أنه "إخبارٌ بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبيرُ عنها بذلك للمشاكلة "[٤] وهو منسوب لابن عباس رضي الله عنهما ، أما الدعاء "بأن يسخر الله بهم كما سخروا بالمسلمين"[٥] وقول ابن عباس هو القول الذي فيه قرب لظاهر النص فقد ذكر سبحانه في نهاية الآية (ولهم عذاب أليم) .

٢- {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ} [الصافات:١٢-١٤]

تضمن سياق الآيات لفظتين بصيغة المضارع (يسخرون) و (يستسخرون) بالفعل المجرد والمزيد ؛ ففي الآية الأولى (يسخرون) وهي إخبار عن حال المشركين من مكة ودأبهم مع النبي عليه الصلاة والسلام فقد "قِيلَ: الْوَاوُ وَاوُ الْحَالِ، أَيْ عَجِبْتَ مِنْهُمْ فِي حَالِ سُخْرِيَتِهِمْ " فالنبي صلى الله عليه وسلم قد تعجب مما أعطاه الله من الفضل، و أهل الشرك سخروا منه وكانت سخريتهم من النبي صلى الله عليه وسلم من نبوءته ومن الحق الذي جاء به عليه الصلاة والسلام[٦]

أما لفظة (يستسخرون) في الآية التي بعدها بآيتين ؛ فتضمنت زيادة في مبناها ما أدى إلى زيادة في معناها فالكفار إذا رَأَوْا آيات الله سبحانه التي وردت لتأييد نبيه صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر ونحوه يَسْتَسْخِرُونَ بمعنى يبالغون في السخرية. أو يدعو بعضهم بعضا للسخرية

(١) التحرير والتنوير: ١٠ : ٢٧٥ .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للشوكاني: ٢: ٤٣٩ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٤: ١٨٨ .

(٤) تفسير أبي السعود: ٤: ٨٧ .

(٥) تفسير فتح القدير: ٢: ٣٨٥ .

(٦) ينظر: تفسير الطبري: ٢١ : ٢٣ ، وتفسير ابن عطية: ٤ : ٤٦٧ – ٤٦٨ .

منها[١] وقيل أنّ (يستسخرون) بمعنى (يسخرون) فيكون (استفعل) بمعنى (فعل)[٢] ، وفرقَ الفخر الرازي بين اللفظتين وأنّ كل واحدة منهما معناها يختلف عن الأخرى " فوجب أَن يكون الْمراد من قوله: يَسْتَسْخِرُونَ غير ما تقدم ذكره من قوله: وَيَسخَرُونَ فَقَالَ هذا القائل المراد من قوله: ويسخرون إقدامهم على السخرية ، والمراد من قوله: يستسخِرُون طلب كل واحد منهم من صاحبه أَنْ يُقْدِمَ عَلَى السُّخْرِيَةِ وَهَذَا التَّكْلِيفُ "[٣] .

فلفظة (يسخرون) فعل السخرية منهم و (يستسخرون) مبالغتهم في الفعل أو أنهم دعوا قومهم لمشاركتهم في الاستهزاء وذلك لأن الزيادة في مبنى الكلمة تؤدي إلى زيادة في معناها .

{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ } [الزمر: ٥٦] وردت لفظة (الساخرين) في وصف حال المقصرين يوم القيامة، وندمهم فهم يتحسرون على ما فعلوا {على ما فرطت في جنب الله} "أَيْ: قصَّرت في طاعة الله وسلوك طريقه"[٤] ثم يتذكرون فعلهم وإنهم كانوا من الساخرين ، يقول الإمام الطبري عن قتادة في معنى الآية: " فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله"[٥] فسخريتهم ذكروها بعد أن ندموا وتحسروا ولات ساعة ندامة ، وقد جاءت اللفظة على صيغة اسم الفاعل الذي يدل على استمرار الحدوث.

المبحث الثاني: (لفظة ضحك وصيغها):

عند إطلاق الفعل ضحك تتعدد مصادره فيقال: " ضحِكَ يَضَحَكُ ضَحِكاً وضِحْكاً، ولو قال: ضَحَكاً لكان قياساً لأنّ مصدر فَعِلَ فَعَل"[٦]

وهذا الضحك المتعارف عليه ، وقد يطلق الضحك على نوع من العسل وعلى طلع النخل إذا تشقق أو على الثلج[٧] .

(١) ينظر: تفسير الكشاف: ٤ : ٣٨ .

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية: ٤ : ٤٦٨ ، و زاد المسير في علم التفسير: ٣: ٥٣٨ .

(٣) تفسير الرازي : ٢٦ : ٣٢٥ .

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للواحدي: ٩٣٧ .

(٥) تفسير الطبري: ٢١ : ٣١٥ .

(٦) العين: ٣: ٥٨ .

(٧) ينظر: جمهرة اللغة: ١ : ٥٤٥ .

وردت ضحك في القرآن الكريم بصيغها المختلفة عشر مرات ، والتي تنوعت وتوزعت بين الفعل الماضي (ضَحِكَتْ ، أَضْحَكَ) ، والمضارع وهو الأكثر ورودا في القرآن (يضحكون ، تضحكون) ، أو المضارع المقرون بلام الأمر (فليضحكوا)، أو اسم الفاعل (ضَاحِك ، ضاحكة) ، وعند تتبعنا لهذا الجذر في القرآن وجدنا أنّ صيغة يضحكون تضحكون وردتا مع أهل النفاق، والشرك، وحالهم في الانتقاص من أهل الإيمان في الدنيا، ووردت لفظة يضحكون مع المؤمنين مرة واحدة وضحكهم في يوم القيامة { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } [المطففين: ٣٤] وكأنّ الحال في القرآن قد وُصِفَ به أمران اثنان الأول: كثرة ضحك أهل العناد والشرك من الذين آمنوا، ولكن الضحك في آخر الأمر كان من نصيب أهل الجنة فرحا بنعمة الله ، وبما صار إليه حال أهل النفاق والشرك، كما ورد الضحك مقابلا مع البكاء في قوله سبحانه: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم: ٤٣] وهذه عامة في كل ضحك وبكاء ، وإن تعدد تفسيرها إلا أنه لا تعارض بين الآراء ، قال تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة: ٨٢]

دراسة لبعض سياقات الآيات:

١- {فَلْيَضْحَكُوا قليلا وليبكوا كثيرا جَزَاءً بما كانوا يكسبون} [التوبة: ٨٢]

جمعت الآية بين الضحك والبكاء وكلاهما جاء بصيغة الأمر بالفعل المضارع ولام الأمر فاللفظ ورد بصيغة الأمر لكنه فيه معنى الخبر فقد تضمن الإخبار عن حالهم وما يتصفون به[١] وقيل: بل إنه أمر على ظاهره أفاد تهديدهم جزاء أفعالهم[٢] ، والذي يضحك هنا هُم أصحاب النفاق الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا ، أو الكفار الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله[٣] ، وضحكهم القليل يحتمل أمرين:

أحدهما: إنّ الضحك في الحياة الدنيا، التي هي دار الهموم والأحزان قليل، وهؤلاء ضحكهم فيها أقل، لِما ينتظرونه من الوعيد.

الثاني: إنّهم إنما يضحكون في الدنيا، وهي دار الذهاب والفناء فمهما طال البقاء فهم إلى ذهاب عن هذه الدار[٤] وهذا حال معاقبة من نافق أو عادى دين الله وأولياءه فالدنيا وإن طال عمر

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): ٣ : ٦٦ .
(٢) ينظر : تفسير السمعاني: ٢: ٣٣٣ ، وزاد المسير في علم التفسير: ٢: ٢٨٥ .
(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم): ٦: ١٨٥٥ .
(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٢: ٢٨٥ .

الإنسان فيها فهي ذاهبة والإنسان مفارقها، والآخرة باقية لاتنتهي ؛ لذلك قال سبحانه: "فليضحكوا قَلِيلًا إشارة إلى مدة العمر فِي الدنيا، وليبكوا كثيرا إشارة إلى تأبيد الْخلود، فجاء بلفظ الأمر ومعناهُ الخبر عن حالهم"[١] ، وقيل في ضحكهم هنا: أنه أعم من الضحك المعهود بل معناه" فليتمتعوا في هذه الدنيا المنقضية الفانية ، ويفرحوا بما فيها من ملذّات وشهوات، ويلهوا ويفرحوا بها، فالآية تضمنت معنى عظيما وهو أنّ هؤلاء الضاحكين من المنافقين والكفار أخبر الله عنهم أنّ ضحكهم هذا قليل وهو حال الدنيا التي لا تدوم على حال ولا يقر لها قرار ؛ لأن الضحك في الدنيا فَانٍ وزائل وهذه هي حالها، أو لأنه إذاما قيس بما فيها من كدر وصعوبة قليل بالنسبة إلى ما فيها من الأحزان والغموم[٢] فمن اختارها وجعلها غايته ، وتمتع فيها؛ فسيعلم في الآخرة حال ضحكه واستخفافه، وما كانت العاقبة، فالدنيا قصيرة ، قصير عمرها ، فكيف بجزء منها ؟ ووقت زائل ، ألا وهو ضحك قليل ، والآخرة هي الباقية ، ويبكون فيها بكاء لا ينقطع ، وهذا حال من ضيع آخرته وباعها ، وهذا حالهم فهم"وإن فرحوا وضحكوا في كل عمرهم، فهذا قليل ؛ لأَنَّ الدُّنْيَا بأَسرها قليلة، وَأَمَّا حزنهم وبكاؤُهُم في الآخرة فكثير، لأَنَّه عقاب دائم لا ينقطع، والمنقطع بالنسبة إلى الدَّائم قليل"[٣] فالضحك هنا حال أهل الدنيا المضيعين وهو إن كان ظاهرهم الفرح لكن العبرة بالعاقبة والمآل، وهي بكاؤهم الكثير الدائم الذي لا ينقطع .

٢- {وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} [هود: ٧١]

سياق الآية في زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام وفيها نسبة الضحك إليها. ونقل الإمام الطبري أنّ أهل التفسير قد اختلفوا في معنى قوله (فضحكت) ، وفي السبب الذي من أجله ضحكت[٤] وهل الضحك هنا المراد به على ظاهره أم معنى آخر غير ما يتبادر إلى الذهن؛ فمن المفسرين من ذكر أنه على ظاهره ولا يوجد معنى آخر له ، و أَكْثَرُ أهل التفسير على أَن الضحك هُنَا على ظاهره[٥] لحصول أمر يُسَرُّ به الإنسان ويفرح لحصوله ، ومن المفسرين من ذكر أنّ الضحك هنا بمعنى الحيض ، وقد أنكر الفراء هذا المعنى وأنه لم يذكر عن ثقة[٦] والراغب لا

(١) البحر المحيط : ٥ : ٤٧٥ .

(٢) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام: ٢: ٤٠ ، و تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): ٣٤٦.

(٣) تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب): ١٦: ١١٤ .

(٤) ينظر: تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن): ١٥ : ٣٨٩ .

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ٢ : ٤٤٢.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ : ٢٢ .

يؤيد هذا التفسير لـ (ضحكت) بـ (حاضت) لأنّ الضحك لا يكون بمعنى الحيض فالبشارة حصلت لها كما أنّ الحيض حصل لها ليتبين أن من حاضت يمكن أن تنجب وليس ببعيد عليها الإنجاب فالحيض حصل فقط لبيان هذا الحال الممكنة[١] فضحك سارة على ظاهره، وسببه مختلف فيه على أقوال متعددة لكن الأقرب للصواب ما رجحه الرازي بأن سبب ضحكها هو حصول بشارتين البشارة الأولى عندما قالت له الملائكة (لاتخف) والثانية البشارة بالولد بعد اليأس منه [٢] يتضح مما سبق أن النص تضمن أمرين الضحك على ظاهره ، واحتمال تفسيره بالحيض بعيد عن معنى النص، والآخر أن ضحكها سببه كلام الملائكة لإبراهيم عليه السلام وبشارتهم له وتطمينهم له وذهاب الخوف عنه .

٣- {فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون} [المؤمنون:١١٠]

تضمنت الآية لفظتين الأولى (سخريا) ، والأخرى: (تضحكون) وسندرسهما لكونهما وردتا في سياق واحد ، ونركز هنا على لفظة سخريا ؛ لأنّ مدار تفسير الآية حولها فقد وردت لفظة سخريا بقراءتين بكسر السين وضمها[٣] ، وقد ذكر الإمام الطبري أنّ لكل قراءة وجها عند أهل العلم وهما _ قراءة الضم والكسر_ قراءتان مختلفتان ": قال ابن زيد (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) قال: هما مختلفتان: سِخريا، وسُخريا، يقول الله: (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) قال: هذا سِخريّا: يُسَخِّرونهم، والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم سُخريًّا، فتلك سِخريًّا يُسَخرونهم عندك، فسخَّرك رفعك فوقه، والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي: سُخريّا يَسْخَرون منهم. فهما مختلفتان"[٤] وقد ذكر أنهما لغتان ومعناهما لا يختلف ونُسِبَ إلى الخليل وسيبويه[٥] ويرجح أبو علي الفارسي قراءة الكسر وعنده أنها أقرب لمعنى الآية "قراءة كسر السين أوجه لأنه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه أكثر وهو أليق بالآية ألا ترى إلى قوله: وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ"[٦] ويُسْتَدَلُّ لذلك وجود الفعل (تضحكون) في خاتمة الآية أنّ القصد من الآية السخرية وليست الخدمة، وقد اختار الإمام الطبري –رحمه الله– هذا المذهب فقال: "والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب، وليس يُعْرف من فرّق بين معنى ذلك إذا كسرت

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٠٢ .

(٢) ينظر : تفسير الرازي: ١٨: ٣٧٤ .

(٣) ينظر : التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ١٠٧ .

(٤) تفسير الطبري: ١٩ : ٨٠ وينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤ ٤٨٩.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٣ : ٢٧٢.

(٦) تفسير ابن عطية:٤ : ١٥٨ .

السين وإذا ضمت"[١] فهو يذكر القراءتين لكن من دون تفريق بينهما فالمعنى واحد عنده ولا تفريق بين القراءتين ، واعترض السمين الحلبي على توجيه الإمام الطبري وأبي علي الفارسي بأنّ من خاطبه الله سبحانه من هؤلاء قد جمع بين الأمرين فقال رداً على أصحاب الرأي الذي لم يفرق "ولا حجةَ فيه لأنَّهم جمعوا بين الأمرَيْن: سَخَّروهم في العمل، وسَخِروا منهم استهزاءً. والسُّخْرَة بالتاء: الاستخدام، وسُخريًّا بالضمِّ منها، والسُّخْرُ بدونها: الهزء"[٢] فعلى هذا الرأي يكون المعنيان يراد بهما الاستهزاء والاستعمال والتسخير في الخدمة ولوجود القراءتين وتنوع الدلالة القرآنية فيكون المعنيان مرادين في الآية وإن كان معنى الاستهزاء والاستخفاف هو الأقرب والأقوى لظاهر النص، ولوجود قرينة (تضحكون) في النص لكن لا يمنع ذلك من إرادة المعنى الآخر ولدلالة القراءة الأخرى على ذلك ، ثم إنّ سياق الآيات السابقة فيه حوار من أهل النار وخطاب من الله سبحانه لهم قال سبحانه: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إنا ظالمون قال اخسأوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمن فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون} [المؤمنون:١٠٧ - ١١١]

فأصحاب النار كانوا لاهين مستهزئين ساخرين من أهل الإيمان في الدنيا، فالآية بينت سبب مكثهم في النار وهو سخريتهم واستهزاؤهم بأهل الإيمان فمن سخريتهم ضحكهم واستخفافهم .

٤- {فتبسم ضاحكا من قولها وقال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين} [النمل: ١٩].

تضمنت الآية لفظتين (تبسم) و (ضاحكا) .

والتبسم "والابتسام. والبَسْم بمعنى واحدٍ، وهو أَقل الضحك. وأَحسنه"[٣] والتبسم المذكور في حق سليمان عليه السلام هو صفة للأنبياء والتَّبَسُّمُ أكثرُ ضَحِكِ الأنبياءِ عَلَيْهِمْ السَّلاَمُ[٤] فضحكه كان تبسماً لأن التبسم نوع من الضحك، وهو أقل الضحك أو أوله ، وفُسِّرَ سبب ضحكه عليه السلام بتفسيرين "أَحدهمَا: فَرحا بثناء النملة عَلَيْهِ، وَالْآخر: سمع عجبا، وَمن سمع عجبا يضْحك،

(١) تفسير الطبري : ١٩ : ٨٠ .

(٢) الدر المصون في تفسير الكتاب المكنون: ٨: ٣٧١ .

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢: ٢٤٩ .

(٤) ينظر : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣ : ٣٥٦.

وَرُبمَا يغلب فِي ذَلِك"[١] وذكر الزمخشري – رحمه الله– في معنى الآية أنّ سليمان عليه السلام تبسم ليبتدئ الضحك آخذا فيه، فهو قد تجاوز حد الابتسامة داخلا في الضحك[٢] ، وفي كلامه إشارة إلى أنّ الضحك مرحلة تأتي بعد التبسم ، وقد ذكرت لفظة ضاحكاً لأنّ "التبسُّمُ قد يكون للغَضَبِ، ومنه: تَبَسَّم تَبَسُّمَ الغَضْبانِ، أتى بـ (ضاحكاً) مبيّناً له. قال عنترة[٣] :

لمَّا رآني قد قَصَدْت أُرِيْدُه ... أبدى نواجِذَه لِغَيْرِ تَبَسُّمِ"[٤] .

إذن فالآية قد تضمنت ذكر الضحك ، وقد جاء بنوع منه وهو التبسم ، وفي النص الكريم بيان عظيم وخلق قويم "وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت"[٥] ، والرسل منزهون عن ذلك ؛ فالرسل أصفياء الله سبحانه وخير خلقه اجتمعت فيهم كل خصال الخير ونبي الله سليمان نجد أنه كان وسطا بعيدا عن التشدد في خلقه أو التجبر كما أنه ابتعد عن الخفة وسوء الخلق فكان ضحكه تبسما مبتعدا عن كل ما يشينه وسطا في أموره

٥- { فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ } [الزخرف: ٤٧] .

وردت لفظة (يضحكون) في الآية الكريمة بصيغة الفعل المضارع الذي يدل على الثبوت والتجدد والاستمرار في الفعل.

وقد وصف سبحانه و تعالى قوم فرعون بأنهم يضحكون من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام ، وفيه ربط وتذكير بموقف قريش التي كانت تضحك وتسخر من أخبار محمد عليه السلام ومن رسالته وهذا حال كل من كذّب الرسل وأنكر آيات الله ، فهم يسخرون منها ويستهزئون بها بل يتطاولون ويسمونها سحرا أو غير ذلك من الافتراء على رسل الله ، وهذا حال أهل العناد

(١) ينظر: تفسير السمعاني: ٤: ٨٦ .

(٢) تفسير الكشاف: ٣: ٣٥٦ .

(٣) ديوانه:٢١٢ .

(٤) الدر المصون : ٨: ٥٩٠.

(٥) تفسير السعدي : ٦٠٣ .

والتكذيب مع آيات الله وأنبيائه ورسله يكون ضحكهم من باب الاستهزاء والتكذيب[١] وسياق الآية ذكر فيه (لمّا جاءهم بآياتنا) آيات ومعجزات العصا واليد البيضاء من غير سوء ماذا كانت النتيجة (إذا هم منها يضحكون) فاستعمل حرف المفاجأة مع يضحكون "فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ جَازَ أَنْ يجاب عن لما بإذا الذي يفيد الْمفاجأَةَ ؟ قلنا لأَنَّ فعل المفاجأَة معها مقدر كَأَنّه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم"[٢] فلفظة يضحكون فيه معنى السخرية والاستخفاف

٦- {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم: ٤٣]

تعددت الأقوال في دلالة أضحك وأبكى في الآية الكريمة لكن يمكن أن نجملها في قولين قد تفرعت عنهما أقوال

الأول: أنّ أضحك وأبكى تخص الإنسان وفيها أكثر من وجه لتفسيرها

الثاني: أنّ أضحك وأبكى تخص الأرض والسماء

ففي تأويل الوجه الأول إنّ الله سبحانه وتعالى أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وهذا ضحك الفرح والسرور بنعمة الله أمّا أهل النار فكان نصيبهم البكاء عند دخولهم في النار ، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم[٣] ، وذكر النحاس أنّ الآية عامة وليست خاصة في ضحك معين أو بكاء معين[٤] أو أن الله قد "أضحك من شاء في الدنيا بأن سرّه، وأبكى من شاء بأن غمّه"[٥] ، ويعلل ابن عطية ذكر الضحك والبكاء فهما صفتان يجتمع فيهما كثير من الناس، إذ الضحك دليل السرور، والبكاء دليل الحزن في الدنيا والآخرة، فنبّه تعالى في الآية الكريمة على هاتين الصفتين التين هما مما يتصف به الإنسان[٦] ، وفي ذكر الضحك والبكاء و تقديم الضحك على البكاء أمور "فِي الِاعْتِبَارِ بِخَلْقِ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ إِشَارَةٌ إِلَى دَقَائِقِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحْسِنُ الطِّبَاقِ بَيْنَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ وَهُمَا ضِدَّانِ ،

(١)ينظر: تفسير ابن عطية: ٥: ٥٨ وتفسير الكشاف: ٤: ٢٥٥. وتفسير السمعاني: ٥: ١٠٦ .

(٢) تفسير الرازي: ٢٧: ٦٣٦ .

(٣) تفسير الطبري: ٢٢: ٥٤٧.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤: ١٨٧.

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية: ١١: ٧١٧٣ .

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية: ٥ : ٢٠٧.

وَتَقْدِيمُ الضَّحِكِ عَلَى الْبُكَاءِ لِأَنَّ فِيهِ امْتِنَانًا بِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ عَلَى الْقُدْرَةِ وَحَصَلَ بِذَلِكَ مُرَاعَاةُ الْفَاصِلَةِ"[١]

المبحث الثالث: (لفظة هزو ، هزء وصيغها):

يدل جذر هزو أو هزء على " السُّخْرية، يقال: هَزِيءَ به يَهْزأُ به، واسْتَهزأَ به، وتَهَزَّأَ به"[٢] ونقل ابن دريد عن يونس أنّه " إذا قَالَ الرجلُ: هَزِئْتُ مِنْك، فقد أَخطَأَ، إِنَّمَا هُوَ هَزِئتُ بك واستهزأت بك"[٣] ونقل الجوهري عن الأخفش أنّ الفعل يتعدى بـ (من) و (به) فـ "تقول: هزئت منه وهزئت به، عن الاخفش. واستهزأت به، وتهزأت به، وهزأت به أيضا، هزءا ومهزأة. عن أبى زيد"[٤]

وعند تتبع الصيغ التي ورد فيها جذر (هزو ، هزء) في القرآن الكريم نجدها قد تنوعت بأكثر من صيغة أكثرها (يستهزئون ، يستهزئ) وبعدها (هزو) وذكر الراغب أن هذا الجذر في القرآن يدُلُّ على مزح في خفية ، أو يقال لما هو كالمزح[٥] وذكر أمثلة لذلك مما يدل على المزح أَتَتَّخِذُنا هُزُواً [البقرة/ ٦٧] {وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} [البقرة: ٢٣١] {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا} [المائدة: ٥٨] {وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان: ٤١] {وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً} [الأنبياء/ ٣٦] {وَإِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً} [الجاثية/ ٩] يقول الراغب في هذه الآيات أنّ الله سبحانه "قد عظّم تبكيتهم، ونبّه على خبثهم من حيث إنه وصفهم بعد العلم بها، والوقوف على صحّتها بأنهم يَهْزَءُونَ بها "[٦] ، أما عن (استهزأ) المزيد فذكر أنها تطلق على من تكرر منه الفعل فقال " ارتياد الْهُزُؤِ وإن كان قد يعبّر به عن تعاطي الهزؤ، كالاستجابة في كونها ارتيادا للإجابة، وإن كان قد يجري مجرى الإجابة"[٧]

---

(١) التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): ٢٧ : ١٤٢ .

(٢) العين: ٤ : ٧٥

(٣) تهذيب اللغة :٦ : ١٩٦ .

(٤)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١: ٨٣ – ٨٤ .

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٨٤١ .

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٨٤١ .

(٧) المفردات في غريب القرآن: ٨٤١ .

دراسة لبعض سياقات الآيات:

١- {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}[البقرة:١٤،١٥]

في هاتين الآيتين ذكرت فيهما لفظة الاستهزاء بصيغتين

الأولى: صيغة اسم الفاعل (مستهزئون)

الأخرى: بصيغة الفعل المضارع (يستهزئ)

في الموطن الأول الكلام كان من البشر ، فيقولون (إنما نحن مستهزئون) وفي هذا السياق يقول الإمام الطبري في بيان دلالة اللفظة "أجمع أهل التأويل جميعًا -لا خلاف بينهم- على أن معنى قوله: (إنما نحن مستهزئون) : إنما نحن ساخرون"[١] وفسر الإمام الواحدي رحمه الله الاستهزاء هنا بنفاقهم فقال: {إنَّما نحن مستهزئون}: مُظهرون غير ما نضمره"[٢] فالذي يضمر خلاف ما يظهر هو المنافق وسياق الآية جاء ليصف حال المنافقين فتفسيره للاستهزاء من سياق النص الذي وصف حال المنافقين وتلونهم في أقوالهم وفي معنى الاستهزاء الاستخفاف بالشيء قيل إنهم في قولهم (إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ) رد للإسلام ودفع له والسبب في ذلك أن المستخف بالشيء منكر له[٣] وقيل إن الاستهزاء منهم في هذه الآية أنهم مُكَذِّبُونَ بما يدعون إليه[٤] وقد جاء كلامهم بصيغة اسم الفاعل يقول أبو حيان في سبب استعمال اسم الفاعل في هذا السياق إنّ "اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَأَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ وَصْفٌ ثَابِتٌ لَهُمْ، لَا أَنَّ ذَلِكَ تَجَدُّدٌ عِنْدَهُمْ، بَلْ ذَلِكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وَعَادَتِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ"[٥] فاتصافهم بهذه الصفة (الاستهزاء) هو من خُلُقِهم وطَبعِهِم ملازم لهم ليس طارئا عليهم فقولهم إنما نحن مستهزئون فيه معنى التكذيب والاستخفاف والسخرية واللعب وهذا فيه بيان حال المنافقين ثم بين سبحانه في الآية التي تلتها جزاء هؤلاء المنافقين المستهزئين فقال عز من قائل { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٥]

(١) تفسير الطبري: ١: ٣٠٠

(٢) الوجيز للواحدي : ٩٣

(٣) ينظر: تفسير الكشاف: ١: ٦٦

(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ١: ٢٠٧

(٥) البحر المحيط في التفسير (١/ ١١٤)

ورد جزاء الاستهزاء بالفعل المضارع وهذه لطيفة تناسب حال هؤلاء المنافقين وكيفية مجازاتهم "لِأَنَّ «يَسْتَهْزِئُ» يُفِيدُ حُدُوثَ الِاسْتِهْزَاءِ وَتَجَدُّدَهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ، وَهَذَا كَانَتْ نِكَايَاتُ اللَّهِ فِيهِمْ: أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ [التَّوْبَةِ: ١٢٦] وَأَيْضًا فَمَا كَانُوا يَخْلُونَ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِمْ مِنْ تَهَتُّكِ أَسْتَارٍ وَتَكَشُّفِ أَسْرَارٍ وَاسْتِشْعَارِ حَذَرٍ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَةٌ يَحْذَرُ/ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ [التوبة: ٦٤]" (١)

وقد تعددت الأقوال في بيان معنى قوله سبحانه: (الله يستهزئُ بهم) ، وهل يقع الاستهزاء منه سبحانه فكانت الأقوال تتفق على أن الاستهزاء لا يقع منه سبحانه لأن هذه الصفة لا تليق بالبشر المستقيم ، فكيف تطلق على رب العالمين ، وفي هذا الخلاف يقول الإمام الطبري: "اختُلف في صفة استهزاءِ الله جلّ جلاله، الذي ذَكر أنه فاعله بالمنافقين، الذين وَصَف صفتهم"(٢) ، وقد ذكر العلماء كيفية استهزاء الله بهم منها في الدنيا ، ومنهم من قال في الآخرة ، ومنهم من قال في الحالين(٣) ، لكن الذي نستخلصه والذي يبين معنى (يستهزئ بهم) أنّ الاستهزاء هنا من باب مقابلة الفعل ، فهم يستهزئون بالمسلمين والله سبحانه يجازيهم من جنس فعلهم فهم استهزأوا ظلما ونفاقا والله العدل سبحانه جازاهم على ظلمهم "يجازيهم على صنيعهم، إِلَّا أَنه سَمَّاهُ الله استهزاء؛ لِأَنَّهُ جَزَاء الِاسْتِهْزَاء"(٤) وجعلوا من هذا قوله سبحانه (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) [سورة الشورى: ٤٠] وكذلك قوله: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [سورة آل عمران: ٥٤] . وقد أجيب عن هذا الإشكال بأنه " سمّي جزاؤه باسمه كما سُمي جزاءُ السيئة سيئةً إما للمشاكلة في اللفظ أو المقارنة في الوجود أو يرجِعُ وبالُ الاستهزاء عليهم"(٥). فالاستهزاء في هاتين الآيتين في الآية الأولى من هؤلاء المنافقين هو استخفاف ولهو ولعب وسخرية، وهو شأن كل منافق إرضاء للبشر أما من الله سبحانه فهو جزاء وعدل منه سبحانه على فعل هؤلاء، وإرضاء، وكفاية لعباده المؤمنين، فعندما يقول الله سبحانه أنه يستهزئ بهم " يصير استهزائهم فِي مُقَابَلَتِهِ كَالْعَدَمِ،

(١) تفسير الرازي: ٢: ٣١٠

(٢) البحر المحيط في التفسير: ١: ١١٤

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١: ٣٠١

(٤) تفسير السمعاني: ١: ٥١ .

(٥) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): ١: ٤٧ وينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: ١: ١٦ .

وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الِاسْتِهْزَاءَ بِهِمُ انْتِقَامًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُحْوِجُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ يُعَارِضُوهُمْ بِاسْتِهْزَاءٍ مِثْلِهِ"(١) .

٢- {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام: ١٠]

٣- { وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأنبياء: ٤١]

٤- {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [الرعد: ٣٢]

يبين سبحانه حال الذين استهزأوا بالنبي صلى الله عليه، وسلم وتعاملهم مع دعوته بالاستهزاء والسخرية، فبين سبحانه أنّ هذه ليست حالهم فقط، بل حال أسلافهم من الكفار المكذبين لرسلهم الذين لاقوا دعوتهم بالاستخفاف فكان لهم العذاب، فإن كان مشركوا مكة قد "تمادوا في غيّهم، وأصَرُّوا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيلَ أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم"(٢)، وفي قوله سبحانه (ولقد استهزئ برسل من قبلك) "دليلٌ على أنه لا أثر للاستهزاء على الكفر مع الكفر، لأن الاستهزاء كفر وزيادة"(٣) .

وهناك تشابه لفظي بين الآيات الثلاث، فكانت آية الأنعام والأنبياء لا تختلفان، فهما من المتشابه التام أمّا آية الرعد فتختلف عنهما قليلا ففيها لفظة (فأمليت)، ومعنى "الإملاء: الإمهال، وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن، كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم. استهزاء به وتسلية له"(٤) .

في آيتي الأنعام والأنبياء وردت لفظة (فحاق)، وقد دلت هذه اللفظ في الآية علما أنّ المشركين المستخفين بدعوة الرسل قد"نزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم "ما كانوا به يستهزئون"، يقول: العذابُ الذي كانوا يهزءون به، وينكرون أن يكون واقعًا بهم على ما أنذرتهم رسلهم"(٥)، وقد

(١) تفسير الرازي ٢: ٣١٠

(٢) تفسير الطبري: ١١: ٢٧١

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٣: ٣٠٥

(٤) تفسير الكشاف: ٢: ٥٣١ .

(٥) تفسير الطبري: ١١: ٢٧٢

وردت لفظة (اسْتُهْزِئَ) في الآيات الثلاث بصيغة الماضي المبني للمجهول، ولو تأملنا آية الانعام والأنبياء وجدنا أنّ الاستهزاء ذكر في صدر الآية، ثم عند ذكر الجزاء قال سبحانه: (فحاق بالذين سخروا) فسمى الاستهزاء سخرية وفي خاتمة الآية ذكر لفظ (يستهزءون) وفي آية الرعد بيان أنّ الاستهزاء أمر عظيم وهو أشد من التكذيب؛ لأنّ "الاستهزاء (أمر) مرتكب زائد على التكذيب من التهاون، والاستخفاف بجريمة مرتكبة أشنع جريمة"(١)؛ لذلك فالمكذب قد يؤمن المكذب وتغير حاله ويصلح أما المستهزئ فلا يصلح حاله والإيمان بعيد عنه(٢) .

فالآيات الثلاث تضمنت أمورا مهمة منها أن الاستهزاء والسخرية حال الأمم السابقة وليس مقصورا على من كذّب النبي صلى الله عليه وسلم ففيه من التسلية لما يلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من قومه وتهوينا عليه(٣).

إن الله سبحانه يمهل لهم، ويملي فإن رجعوا؛ وإلا أخذهم بما فعلوا، وأحاط بهم ما كانوا به يستهزءون، كما تضمنت بيان عظمه الاستهزاء، وأنه أشد من التكذيب وأن عقوبته عظيمة إذا لم يتب صاحبها من فعله الشنيع، وهو الاستخفاف بدين الله وأنبيائه ودعوتهم.

٥- { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} [التوبة: ٦٤]

تضمنت الآية بيان حال المنافقين ويمكن أن نأخذ منها حذر المنافقون من أن يفضحهم الله ، ويخرج ما يسرون، ثم قوله سبحانه (استهزئوا) بصيغة الأمر آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم بهذا الخطاب "متهددًا لهم متوعداً"(٤) فهو خطاب للمنافقين افعلوا ما شئتم من أعمال النفاق فإن الله عليم بكم وسيخرج نفاقكم الذي تخفونه فالأمر بالاستهزاء في النص الكريم هو من باب تهديدهم وتحذيرهم وبيان أن الله بكل شيء عليم ، عليم بما يخفون ويفعلون. والآيات التي تلت هي استمرار في نفس السياق لبيان حال المنافقين .

٦- {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة:٦٥، ٦٦]

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٢: ٢٨٢

(٢) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٢: ٢٨٢

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٨: ٤٠

(٤) تفسير الطبري: ١٤: ٣٣١ .

كما أسلفنا أنّ هذه الآيات استمرار لما سبق، ونجد فيها ألفاظ الخوض واللعب. ويستعمل الخوض " فِيمَا كَانَ بِالْبَاطِلِ؛ لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْبَحْرِ أَوْ فِي الْوَحْلِ، فَيُزَادُ بِهِ الْإِكْثَارُ، وَالتَّعَرُّضُ لِتَقَحُّمِ الْأَخْطَارِ"(١) . أمّا اللعب فيدخل في الاستخفاف بالدين؛ لأن كل ما يلعب به يستخف به(٢)، وفي الآية من الوعيد الشديد لمن جعل كلام الله سبحانه وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم للخوض في الأحاديث أو للعب والتسلي بأنه من الاستهزاء بالدين والاستخفاف به، فقد نبه سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم "نَبَّأَ نَبَأً مُؤَكَّدًا بِصِيغَةِ الْقَسَمِ أَنَّهُ إِنْ سَأَلَهُمْ عَنْ أَقْوَالِهِمْ هَذِهِ يَعْتَذِرُونَ عَنْهَا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِيهَا جَادِّينَ وَلَا مُنْكِرِينَ، بَلْ هَازِلِينَ لَاعِبِينَ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُخْتَلِفَةِ لِلتَّسَلِّي وَالتَّلَهِّي، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا عُذْرٌ مَقْبُولٌ؛ لِجَهْلِهِمْ أَنَّ اتِّخَاذَ أُمُورِ الدِّينِ لَعِبًا وَلَهْوًا، لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنِ اتَّخَذَهُ هُزُوًا، وَهُوَ كُفْرٌ مَحْضٌ، وَيَغْفُلُ عَنْ هَذَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ"(٣). إذن فالخوض واللعب في أمور الدين يدخل في الاستهزاء بالدين وفيه شر عظيم من حيث يدري أو لا يدري الإنسان فالمنافقون سموا كلامهم خوضا ولعبا لكن لم ينجهم قولهم أو عذرهم من الوقوع في الكفر فقال سبحانه (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فمن معاني الاستهزاء اللعب.

النتائج

- الألفاظ الثلاثة وردت في أغلب سياقاتها مع أهل الاستخفاف بالدين وأهله وبالرسل والآيات وما ورد منها من الله سبحانه فهو من باب الجزاء أو من باب المُشَاكَلَة .
- أكثر الألفاظ الثلاثة ورودا في القرآن هو الاستهزاء ثم السخرية ثم الضحك .
- الضحك وقع من أهل الخير ومن أهل الشر بينما الاستهزاء والسخرية مع أهل الشر وإن جاء ذكرها من رب العالمين أو مع أهل الإيمان فهي من باب مماثلة الفعل ومشاكلته ومن باب الجزاء وليست من باب الاتصاف به

(١) تفسير المنار: ١٠: ٤٥٦

(٢) ينظر: تفسير المنار: ١٠: ٤٥٦

(٣) تفسير المنار: ١٠: ٤٥٦

- الاستهزاء ورد بمعنى المزح في خفية ولا يسبق الاستهزاء فعل يوجب وقوعه لذلك هو أشد من السخرية والضحك لأن فيه زيادة ظلم وتعدٍّ
- إن أول الضحك يكون تبسما كما في قوله سبحانه { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا} [النمل: ١٩]
- إن ضحك تأتي بمعناها المعجمي تدل على الطمث أو الحيض، لكن في القرآن لم تدل على هذا المعنى وإن قال به بعض أهل اللغة والتفسير.
- إنّ السخرية وردت في سياقاتها المختلفة مسبوقة بفعل معين فيحصل الفعل ثم السخرية قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ } [هود: ٣٨]

المصادر والمراجع:

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، (جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦هـ) (جـ ٤، ٥: ١٤١٢هـ) (جـ ٦: ١٣٩٣هـ) .
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤ هـ) .
- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (د . ت).
- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

- تفسير البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ط: الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
- تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط الثالثة – ١٤٢٠ هـ .
- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ،ط: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .
- تفسير السمعاني،أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- تفسير العز بن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، دار ابن حزم – بيروت ، ط الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٩٠ م) .
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، ط: الثالثة – ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث – بيروت ، ط الأولى – ١٤٢٣هـ .

- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط: الأولى (٢٠٠١م) .
- التيسير في القراءات السبع ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط الثانية، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .
- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق (د . ت) .
- ديوان عنترة ، عنترة بن شداد العبسي ، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، دت .
- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ط:الرابعة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) .
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، ط الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى (١٤١٤ هـ) .
- الفروق اللغوية ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، (ت: نحو ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
- معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ) ، تحقيق: محمد علي الصابوني جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ط الأولى،(١٤٠٩هـ) .
- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ) ، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة– مصر ، ط: الأولى.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .
- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ط الأولى – ١٤١٢ هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ) ، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) .
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي المالكي (ت:٤٣٧هـ) ، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

❖ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) ، صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط :الأولى، ١٤١٥ هـ .